صدام حسين

المرونة في العمل الثوري: اسلوب للتقدم ام طريق للتراجع؟

المرونة في العمل الثوري: اسلوب للتقدم ام طريق للتراجع؟

صدام حسين

وقــع الانقــلاب العســكري في بــنغلاديش في 15/8 عــام 1975، آثــار هــذا الحــدث اهتمامــا واســعا في صــفوف حــزب البعــث العــربي الاشــتراكي، وفي صــفوف الجمــاهير والأوســاط الوطنيــة في القطــر العــراقي، كمــا كــان حــدثا اهتمــت بــه، عــلى نطــاق واســع، الأوســاط العربيــة والدوليــة عــلى اخــتلاف اتجاهاتهــا، وفي ذلــك الوقــت كانــت الهنــد أيضــا تعــاني مــن مشــكلات وأزمــات حــادة، وكانــت الســيدة انــديرا غانــدي رئيســة وزراء الهنــد، آنــذاك، قــد اتخــذت سلســلة مــن الاجــراءات الاســتثنائية الــتي أثــارت اهتماما وجدالا واسعين في الهند وخارجها.

حول احداث بنغلاديش والهند جرت ندوة حضرها الرفاق العاملون في ميدان الثقافة والاعلام في الحزب، وعدد من الرفاق من الكادر المتقدم في 21/8/1975، وفي تلك الندوة تحدث الرفيق صدام حسين عن تلك الاحداث، وعن مجموعة من القضايا المستخلصة منها، في مقدمتها مسألة المرونة في العمل الثوري، والانسجام بين طبيعة أي نظام، وبين اجراءاته الاستثنائية لمواجهة الازمات والمخاطر.

قال الرفيق صدام حسين: ليست لدينا حتى الآن معلومات تفصيلية، ومن الداخل، عن الذي جرى في بنغلاديش، وكيف جرى، ولكن كان لنا، منذ أكثر من سنة، استنتاجات محددة حول

الاحتمالات في منطقة المحيط الهندي، ذكرناها عند لقائنا مع السيد مجيب الرحمن [1]، وفي لقاءاتنا مع السيدة أنديرا غاندي [2]، سواء في الهند أو في بغداد، كما تحدثنا فيها عند القادة السوفييت أيضا. وفي هذا لقاءاتنا مع الشأن، فأننا كنا نربط دائما بين الاوضاع في المحيط الهندي والاوضاع في الخليج العربي، ونرى بأن دوافع العاصفة المحتملة التي ستهب على بلدان المحيط الهندي، ليست بسبب العوامل الإستراتيجية التقليدية الخاصة بموقع المحيط الهندي فحسب، وانما هناك عامل مضاف هو صلة المحيط الهندي بالخليج العربي، الذي يزخر

[1] تم في بغداد بتاريخ 06/10/1974

[2] م في بغداد بتاريخ 19/01/1975

م في الهند بتاريخ 27/03/1974

بأمكانات بترولية كبيرة، ويحتل، اليوم، موقعا مهما في السياسة الدولية.

وكنا نقدر دائما أن احتمال الصراع المسلح في منطقة الخليج سيبقى محدودا، وإن كانت العلاقات بين بعض دول الخليج العربي قد دفعت، بفعل قوى خارجية، إلى التأزم، وإلى الحد الذي أوشكت معه أن تأخذ شكلا ساخنا وخطيرا، والسبب في أنه سيبقى احتمالا محدودا هو أن المنطقة بترولية، قابلة للاشتعال، وأن الصراع الحامي فيها يمكن أن يؤدي إلى تعطيل خط الملاحة كله بين مضيق هرمز، (حتى شواطئ العراق وإيران).

لذلك كنا نؤكد بأن أميركا ستسعى إلى أن "تضبط" الخليج العربي من "مداخله"، أي من منطقة المحيط الهندي، لأن أميركا تبقى قلقة، إذا بقيت للاتحاد السوفيتي وأساطيله فرص في التواجد في منطقة الخليج، حتى مع ضمان تواجد مماثل لها فيه.

ففي حالة من هذا النوع، تفضل أميركا أن تخرج هي والاتحاد السوفيتي معا من داخل الخليج، بصيغة أساطيل أو قواعد أو تسهيلات بحرية، في حين تضمن هي بقاء نفوذها في مداخله الرئيسة، ونفوذها السياسي والعسكري في بعض دول منطقة الخليج.

إن الانقـلاب الـذي حـدث في بـنغلاديش يفسرـ جانبـا من الموقـف الأمـيركي، تجـاه انفصـال بـنغلاديش عـن الباكسـتان.. فـأنتم تـذكرون، ولـيس ذلـك ببعيـد، أنـه لـم يكـن لأميركا رد فعـل قـوي ضـد هـذه العمليـة، ولا ضد الحرب الهندية الباكستانية أصلاً.

إن سياســات الــدول الكــبرى تكــون مــع توحيــد الـدول، عنـدما يكـون هنـاك احتمـال بـأن تقـع عمليـة الانفصـــال أو التفتـــت في مهـــاوي الاســـتراتيجيات المضـادة لهـا، وتكـون هـذه الدولـة الكـبرى، أو تلـك مـع الانفصـــال أو التفتـــت، عنـــدما يكـــون محـــتملاً وقــوع التكتــل كلــه في اتجــاه مضــاد لاســـتراتيجيتها، وعـلى هـذا الأسـاس تـرى بـأن بعـض الـدول الكـبرى تســعى إلى توحيــد دول الخلــيج، وبعـــض الـــدول

العربية بشكل أو بآخر، كما نراها في حين آخر تشجع انفصالها وتشرذمها. وهذا ما يجري في مناطق أخرى من العالم أيضا. ولكن كل دولة كبرى تحرص دائماً على أن تكون عملية التكتيل، أو التوحيد بين الدول بصيغة لا تمنع الانفصال أو التشرذم، عندما يكون من المحتمل وقوع الكتلة بأجمعها في أحضان استراتيجية مضادة لاستراتيجيتها.

هذا من جانب.. ومن جانب آخر فإن الوضع في باكستان الموحدة، عند ذاك، كان قد عكس مجموعة من الحقائق أمام الاستراتيجية الأمريكية.. فالوضع في باكستان الشرقية (بنغلاديش) كان سيئاً جدا، بسبب الحملة

العسكرية لنظام يحيى خان ضد شعب باكستان الشرقية. وكانت المشاعر القومية قد بلغت درجة عالية باتجاه الانفصال. إن تلك الأوضاع جعلت أميركا تقدر بأن المحافظة على نظام حليف لها، فيه كل هذه المشاكل يكون أمراً صعباً، ويجعلها تواجه بسببه مصاعب كثيرة وخسائر كبيرة، كما جعلها تقدر بأن الوقوف ضد الانفصال، بشكل حاد وحاسم، يضع بنغلاديش في مواقع استراتيجية مقابلة، بعد أن صار الانفصال، للأسباب المذكورة، أمرًا لا مفر منه. لذلك فإن أميركا، وقد وضعت تلك الحقائق أمامها، لم تقف بشكل عنيف ضد انفصال بنغلاديش.

ولكـن نجـم عـن انفصـال بـنغلاديش والحـرب الهنديـة - الباكسـتانية نتـائج عديـدة: فلقـد حُسِـبَ انفصـال بـنغلاديش عـن باكسـتان، وانتصـار الهنـد في الحـرب الهنديـة الباكسـتانية عـلى أنـه انتصـار للسـوفييت وانـدحار للأميركيـين، وقـد خلـق الانفصـال، وخسـارة باكسـتان في الحـرب جرحًـا للباكسـتان.. الدولـة الـتي تـرتبط مـع أميركـا بحلـف. بيـد أن تلـك النتـائج كانـت، في الواقـع، مظهريـة وغـير عميقـة، لأنهـا بالأسـاس كانـت نتيجـة عوامـل ذاتيـة حاسـمة، ولـم يكـن دور الاتحـاد السـوفيتي هـو العامل الحاسم فيها.

والآن، فـإن دور أميركـا في الانقـلاب عـلى مجيـب الـرحمن لا يشـترط، بالضـرورة، أن يكـون مبـاشرًا،

وبالصيغ التقليدية المعروفة لتدبير الانقلابات، فعملية الدفع باتجاه الانقلاب لابد أن تكون جرت من روافد متعددة، كان لأميركا دور مهم فيها.

إن هذا الانقلاب حقق أمورًا عديدة، فهو قد "داوى"جانبًا من جراح باكستان، لأن مجيب الرحمن هو الذي تزعم الانفصال، وكان الشخصية الامامية، نيابة عن شعب بنغلاديش، كما"داوى"الانقلاب الجراح المعنوية التي أصابت الأمريكان بسبب اعتبار انفصال بنغلاديش انتصارًا سوفيتيًا من حيث المظهر. كما أن للانقلاب نتائجه العملية طبعًا، المرتبطة بسياسة أميركا في هذه المنطقة. أما السوفييت فتقع عليهم - بالتأكيد - مسؤولية في هذا الموضوع. لقد كان

مجيــب الــرحمن زعيمًــا وطنيًــا، لا ســـوفييتيًا ولا أمريكيًــا، كــان يريــد بــنغلاديش دولــة مســتقلة غــير منحــازة، وقــد اكــتفى الســـوفييت، إلى حـــد كبــير، بالنتــائج المظهريــة الــتي حســبت بأنهــا انتصــار لهــم، فلــم يقــدموا لبــنغلاديش دعمًــا متوازنًــا، مــع مــا يجــب أن يكـــون لمواجهـــة المخطـــط الأمـــيركي. فتركـــت بـــنغلاديش تتخـــبط بمشـــاكلها الاقتصـــادية المستعصــية، والــتي كــان النــاس بســببها يموتــون في الشــوارع جوعًــا.. هــذا بالإضــافة إلى عوامــل الضــعف وعدم الاستقرار في نظام مجيب الرحمن نفسه.

لقــد قــدم العــراق لبــنغلاديش في حينــه - وهــو الدولــة الناميــة - هباتــا وقروضــا بمــا يعــادل مائــة مليــون دولار تقريبًـــا، دون أن يربطـــه ببـــنغلاديش صـــلة

قومية، ودون أن تكون العوامل الاستراتيجية التي تربطه بها بنفس قوة العوامل التي تربط دولًا أخرى بها وبمنطقة المحيط الهندي.. ولكننا كنا بالتأكيد، ندرك الترابط بين المحيط الهندي والخليج، ونسعى أيضًا لأن نعزل تأثيرات النفوذ المضاد لمصالحنا الوطنية والقومية عن هذه المنطقة. كانت هذه اعتباراتنا الاستراتيجية في العلاقة مع بنغلاديش، إضافة إلى تقييمنا أساسًا للنظام كنظام وطني غير منحاز.

ويدخل ضمن هذا السياق أيضًا أن الأمريكان، وقد طردوا من جنوب شرق آسيا - كانوا يريدون مداواة النتائج السلبية والجراح التي عكستها تلك الخسارة على معنوياتهم ومعنويات حلفائهم، فلا

بد أن يداووها بضربات في المناطق الحساسة ومنها منطقة المحيط الهندي والخليج، ومنطقة الشرق الأوسط ومناطق أخرى في العالم.

وعلى أي حال، فإن الانقلاب الذي حصل في بنغلاديش، والأحداث التي تجري في الهند اليوم، لم تكن كلها بفعل عوامل خارجية. فالعامل الذاتي كان حاسماً. كما أن الأوضاع الذاتية تشكل، في تقديرنا، عاملاً حاسماً هي الأخرى، لما يمكن أن يحصل في شبه القارة الهندية في المستقبل.

إن أساس نظام مجيب الرحمن هو الأساس الليبرالي.. وفي الآونة الأخيرة اتخذ إجراءات مشددة واتبع نظام الحزب الواحد، وفي الهند فإن طبيعة

النظام ليبرالية أيضًا، وقد جاءت السيدة إنديرا غاندي إلى الحكم بالأساليب البرلمانية، ولكنها تتخذ اليوم إجراءات مختلفة عن الأسس والمفاهيم الليبرالية. فما هي الدروس التي نخرج بها من أحداث بنغلاديش هذه، ومن أحداث الهند، وما يمكن أن يحصل فيها.

إن الدرس الذي يجب أن نخرج به من أحداث شبه القارة الهندية هو: أن المقاتل الذي يحمل بندقية من نوع، ويتمنطق بحزام ذخيرة من نوع آخر لابد أن يهزم.. بصرف النظر عن جودة البندقية أو جودة الذخيرة بشكل منفصل. لأن البندقية "لا تأكل"إلا عتادها كما يقول المثل الريفي عندنا.

إن النظام حين تكون أرضيته الفكرية والسياسية، وكل العوامل المرتبطة بها والناجمة عنها، اقتصاديًا واجتماعيًا وسيكولوجيًا، مصممة على شكل معين، فإن هذا التصميم يستلزم صيغة في التعامل في التعامل مع الجماهير، صيغة في التعامل مع الردة، صيغة في السياسة الدولية.. صيغة في بناء القوات المسلحة، منسجمة مع أصل مرتكزات التصميم.

فحين تكون صيغة عدم الانحياز في بنغلاديش، وكذلك صيغة بناء الوطن المستقل عائمة وغائمة، وليست لها مرتكزاتها الفكرية والسياسية والاجتماعية في التنظيم الشعبي، فإن القائد الذي

يتورط في القيام بعمل ما قبل أو أوانه، ينتهي بالطريقة التي انتهى بها مجيب الرحمن، لأن عتاده لا يتوافق وبندقيته، وهذه هي الحالة التي كان عليها، وهي سبب أساس وحاسم في سقوطه. ان أي نظام يعتمد بالأساس الصيغ الليبرالية في التعامل مع الجماهير، وفي التعامل مع القوات المسلحة، في التعامل مع السياسة الدولية، وفي بناء اقتصاده، وفي التعامل مع المنظمات الجماهيرية يسقط إذا استعان - بشكل فوقي ومفاجئ - بصيغ العمل الثوري المستخدمة في الانظمة الثورية، لمواجهة حالة عصيبة، أو أزمة، أو اختناق في المجالات الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية، لأنه بذلك يفقد أعوانه دون أن يكسب الآخرين بشكل حازم وجذري. وبعبارة

أخرى فإن كل نظام تتكيف أساليبه مع أصوله الفلسفية، ومن خلال واقعه، ولعله من الممكن أن يستمر النظام، لو حافظ على أساليبه النابعة من طبيعته، لمدة أطول، مما لو استعار صيغا أخرى في الحالات التي أشرنا اليها.

وبالنسبة للهند.. وعلى هذا الأساس فإن انديرا غاندي يتوقع لها أن تجابه مشاكل غير اعتيادية، أعني أن مصيرها تتخلله عاصفة رهيبة، لأنها استعارت صيغا من النوع الذي يستخدم في العمل الثوري، دون أن تمتلك الأرضية الفكرية لمثل هذا العمل، ودون أن يكون لديها النسيج الخاص من الأجهزة والمنظمات الجماهيرية الذي يتصل بالأفكار والمبادئ الثورية. والنتائج التي تتصل

بعلاقتهــا مــع الجمــاهير ومــع حزبهــا.. وعلاقاتهــا الخارجيــة ليســت مــن هــذا الطــراز أيضًــا، أي أنهــا لا تمتلــك المرتكــزات الــتي تمنحهــا القــدرة عــلى اسـتخدام الصـيغ الثوريـة والمضيـ بهـا وطنيًـا ودوليًـا. وإذا مـا حصلـت الـردة في الهنـد، فإنهـا سـتكون تحـت شـعار "الـدفاع عـن الديمقراطيـة"، لأن انـديرا غانـدي قــد خرقــت هــذا المبــدأ، أي "الديمقراطيــة الليبراليـة"، الـذي يقـوم عليـه نظامهـا والـذي جـاءت هي الى الحكـم مـن خلالـه. فمـا دامـت هي قـد خرقتـه دون أن تـوفر الـركيزة والبـديل اللـذين تعتمـد عليهمـا، فإنهــا قــد أصــبحت الآن، وإلى وقــت قــادم، كالــذي يتمنطـق بحـزام عتـاده مـن نـوع، ويحمـل بندقيـة مـن نـوع آخـر. هـذا هـو تحليلنـا لوضـع الهنـد، ولابـد هنـا

من الأخذ بعين الاعتبار أيضًا مشاكل الهند الأخرى الكثيرة المعروفة.

بعض الناس قالوا إن انديرا غاندي اتخذت إجراءات جيدة، ولكن فاتهم أن يدركوا أن الأعماق إنما تبدأ من الشاطئ. لقد كان بإمكان انديرا غاندي أن تصل الأعماق بدءًا بالشاطئ، أي كان عليها منذ البدء أن تكون حزبًا ثوريًا، وأن تبني جهازًا ثوريًا، وتتبنى حيفاً ثورية وتستخدمها تدريجيًا، وبذلك، تصبح الإجراءات التي تتخذها الآن عملاً طبيعيًا منسجمًا مع الأصل، وعندما يكون ظهرها محميًا وغير مخلى. إن معظم الصيغ التي تستخدمها انديرا غاندي الآن لم يصنعها الإيمان المتصل بمبادئ العمل الثوري ابتداءً، وإنما صنعتها

الحاجـة الآنيـة، لـذلك فلـيس متوقعًـا لهـا أن تخـرج بنتـائج كـالتي تفرزهـا الصـيغ الـتي يصـنعها الإيمـان المتصـل بمبـادئ العمـل الثـوري ابتـداءً، لا الحاجـة المجـردة عـن الإيمـان، أو المعزولـة عنـه أو المرتبطـة بـه ارتباطًـا وثيقًـا. إن مثـل هـذه الصـيغ، الـتي تصـنعها الحاجـة المجـردة الآنيـة، قـد تخـرج بنتـائج جيـدة، ولكـن لـيس متوقعًـا، لهـذه النتـائج أن تسـتمر عـلى سـياق واحـد، وتصـنع مسـتقبلاً وطيـدًا للشـعب والـوطن، مختلفًـا نوعيًـا بصـيغة الطفـرة عـن الظـروف السـابقة. لـذلك فـإن الكثـيرين مـن قـادة الانقلابـات الوطنيـة والكثـيرين مـن الحكـام في العـالم الثالـث، يسـتعيرون-بسـبب الحاجـة المسـتندة أساسًـا إلى المحافظـة عـلى سـلطتهم، أو لأسـباب لا تتصـل بتصـورات عميقـة وسـتراتجية بالعمـل الثـوري

- صيغًا من العمل الثوري لمواجهة حالة طارئة، وبشكل مقطوع عن التصور المركزي المتصل بمبادئ هذا العمل، ثم نجدهم يتراجعون عن تلك الصيغ بعد فترة حين تنتفي الحاجة إليها.

ان النظام الثوري يبدأ بالشاطئ وصولا الى الأعماق، أما الأنظمة التي هي من النوع الآخر فإن بدت وكأنها في الأعماق، في مرحلة ما، فإنها بعد حين تعود مرتدة إلى الشاطئ، ويكون اتجاهها عكسيا ومتناسبا مع تناقض الحاجة إلى استخدام صيغ العمل الثوري لمواجهة حالة طارئة، تهدد كرسي الحاكم، أو ترتبط بنوازع وطنية مقطوعة عن التصور المركزي المبدئي، المبني على حب الجماهير، والايمان بدورها التاريخي في التغيير،

والقائم على أسس ثورية موضوعية في بناء الدولة. كذلك فإن الأنظمة الثورية، إذا ما استعارت صيغ الأنظمة الليبرالية في مواجهة حالة اختناق أو أزمة اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية فإنها تسقط، لأنها بذلك إنما تكون قد غادرت مواقعها التي تمكنها من المجابهة من خلال الترابط بين الإجراء بمتطلباته، وبين منطلقاتها النابعة من أصول النظام وبنيتيه التحتية والفوقية. ولأنها بمثل تلك الصيغ لا تستطيع أن تلهب حماس الجماهير لتكون سياجا حديديا من حولها وهي إذا ما فعلت ذلك فإنها توفر فرصا كبيرة لاتجاهات الردة، نظرا لأن قوة الردة اختصاصية في استشار الأساليب الليبرالية.

إن هـذه التجـارب الـتي نتحـدث عنهـا تشـير لـدينا، في الوقـت نفســه، الاهتمـام بمســألة المرونـة في العمـل الثوري.

فكمـا أن الأنظمـة الـتي تقـوم عـلى أسـاس ليـبرالي يمكــن أن تخــطئ بتعاملهــا مــع الأســاليب الثوريــة لمواجهــة حالــة معينــة.. فــان الانظمــة الثوريــة قــد تخـطئ أيضـا عنـدما تعاملهـا مـع المرونـة في مواجهـة حالات معينة.

فما هي نظرتنا إلى هذه المسألة؟

إن المرونـــة في العمـــل الثـــوري شيء مطلـــوب وضروري، عــلى أن تكــون المرونــة بصــيغة تتصــل بظـــروف الهـــدف الثـــوري المطلـــوب تحقيقـــه

وبالواقع الذي تعيشه الحركة الثورية باتجاه أهدافها، وتنبع من مبادئ العمل الثوري، وليس بمعزل عنها.

والمرونة، بالمعنى الثوري، لا تعني استعارة الصيغ الليبرالية، لأن هناك فرقا بين المرونة بالمفهوم الثوري، وبين المرونة كنهج ثابت وكجزء من المنهج الليبرالي. فالحركة الثورية تستخدم المرونة في الوقت المناسب وبالقدر المناسب، وبالاتجاه الذي يحقق لها نتائج حاسمة على طريق الهدف، بينما تستخدم المرونة، في أحيان أخرى، بعقلية ليبرالية وليس بعقلية ثورية، والمعيار بين الحالتين، هو أن المرونة، بالمفهوم الثوري، هي نهج مؤقت مرتبط بحالة مؤقتة، أي أنها ترتبط

بظروف ووقائع مادية، ولا بد من مغادرتها عندما تتغير تلك الظروف والوقائع المؤقتة التي استدعت وجودها، لتعود الثورة أو الحركة الثورية إلى نهجها الأصيل.

أما المرونة بالمفهوم الليبرالي فإنها تقود دائمًا إلى التراجعات، لأن هذا المفهوم لا يعتبرها حالة مؤقتة باتجاه تحقيق وثبة إلى أمام، وإنما يحولها إلى حالة شبه دائمة.

إن المرونة حين تبدو ضرورة من ضرورات العمل الثوري، فإنها يجب أن ترتبط اساسا بالتصور المبدئي وبمصالح الجماهير، وتكون خطوة على طريق حسم الظروف باتجاه الهدف الاستراتيجي،

ولـيس مـبررًا للارتـداد عنـه. أي إن المحصـلة الـتي تخـرج بهـا الحركـة الثوريـة مـن المرونـة يجـب أن تكون تقدمًا وليس ارتدادًا.

والثـــوري يجـــب أن "لا يســـتلطف" المرونــــة "اســـتلطافًا" شخصــيًا، فيظــل متلــذذًا بهــا حــين تحقـق لـه أغراضًـا خاصـة، فيـبقى عليهـا ويتمسـك بهـا، ويطيـل المكـوث في مواقعـه الجديـدة، وإنمـا يجـب أن يحـدد المرحلـة والحالـة التـين تسـتخدم فيهمـا المرونـة، وحـين تنـتهي مكونـات هـذه المرحلـة أو الحالــة، ســواء كانــت اجتماعيــة أو اقتصــادية أو سياسـية، ماديـة أو نفسـية، فـإن عليـه أن يتجاوزهـا، لأنهــا ليســت أســلوبه الــدائم.. فالأســلوب الــدائم للثـــوري في النضـــال هـــو الاقتحـــام والتعـــرض،

والمرونة إنما هي صيغة متفرعة عن الأساس، تستخدم وفق الحالات التي أشرنا إليها، وعلى الثوري أن لا يتوهم، فيستبدل الأساس بالفرع. إن المرونة ليست هدفًا وإنما هي وسيلة باتجاه الهدف. إن حالة الاستلطاف الشخصي، والاعتبارات الشخصية يجب أن لا تدخل في حساب المرونة. فلا يجوز التذرع، للإبقاء على المرونة بعد انتهاء مبرراتها ووجوب تجاوزها بأي سبب شخصي.

إننا نخشى استلطاف الثوري للمرونة، لأن الاستلطاف يقود إلى الاسترخاء، وفي أحيان كثيرة يكون استرخاء المناضل أكثر من غيره، بسبب الحاجة المرتبطة بزمن ماض - يقول المثل

الشعبي إن لدى فلان "جوع عتيق"، ومثل هذا الجائع عندما يقع على شيء يأكله، ولا يأكل بقدر حاجته، وإنما يحاول أن يأكل بقدر ما فاته! وعند ذلك يتخم وتثقل حركته ويغدو صيدا سمينا. إن إحدى وسائل الصيد هي أن تهيئ للفريسة فرص الوصول إلى الماء بعد أن تكون قد عطشت عطشا شديدا، فما إن ترتوي كثيرا حتى تسقط بوسائل الصيد، لأنها تكون غير قادرة على الجري بسرعة.

ان من الاخطار التي تواجهها الانظمة الثورية ايضا، سمنتها، أي كمية"الشحم"المضاف الذي يعرقل حركة الوثوب لديها، والشحم المضاف هنا هو التخلي عن اساليب أو أهداف العمل الثوري، والابتعاد عن الجماهير والانغماس في ملذات

الحياة وهذا ما يجب ان تنتبه اليه دائما. فعلينا ان نراقب دائما مقدار السمنة التي تكونت لدى الثوريين والحركة الثورية، ومقدار ما يجب ان يزاح عنها.

ومن الظواهر المعروفة أن الثوريين عندما يتخلون عن المبادئ الثورية والعمل الثوري يصبحون تجارا، بل من أبرع التجار غير الشرفاء، أي من أتعس الوسطاء المبتزين. وعندنا امثلة وشواهد في القطر العراقي، وفي الوطن العربي على ما نقول، ويمكن ان نسمي اناسا كانوا ثوريين أصبحوا بارعين في السمسرة والوساطة التجاريتين، لأنهم لا يريدون ان يوفروا حاجتهم الان فقط، وانما يريدون توفير ما فاتهم وبوسائل منحرفة، ولذلك

فــان تصرــفاتهم تأخــذ طابعــا مخيفــا مــن الشرــاهة والحطــة. والثــوري كالجنــدي اثنــاء التــدريب الاجمــالي في الجــيش، يجــب أن لا يعــطى الا فــترة و اســتراحة، قصــيرة لأنــه اذا جلــس فــترة طويلــة "يحــل عليــه التعــب"كمــا يقــول المثــل الشــعبي، فــلا يعــود قــادرا عــلى النهــوض. وقــد يحــدث الاســتلطاف عنــد الشــعب للمرونــة، كمــا يمكــن ان يحــدث لــدى قواعــد الحــزب، إذا لــم تكــن مــبررات المرونــة وظروفهــا واضــحة امامهــا، وإذا لــم تكــن نتــائج الخلــل بينــة لديها في حالة اطالة مرحلتها.

ومــن المخــاطر الأخــرى الــتي تتعــرض لهــا الانظمــة والاحــزاب والحركــات الثوريــة في بلــدان العــالم الثالــث، ان المرونــة احيانــا لا تســتخدم بقــدر

الحاجـة اليهـا وفي الـزمن المناسـب. وعنـدما تثـور الاعتراضـات عـلى المرونـة وعـلى نتائجهـا، يأخـذ رد الـذين يمارسـونها طابعـا تبريريـا احيانـا، ويلجـأون الى توسـيع دائـرة ممارسـتها عـلى نطـاق واسـع مـن قبـل قواعـد الحـزب الثـوري والجمـاهير، وهـذا يـؤدى الى اضـعاف الحصـانة المبدئيـة للحركـة الثوريـة. ان قواعـد الحـزب والجمـاهير، عنـدما تمـارس المرونـة والمنـاورة بإطـار تبريـري وانتهـازي، فـان ذلـك يـؤدي الى عزلتهـا عـن أصـولها. وهـذا مسـلك يجـب الحـذر الشـديد منـه ان المنـاورة السياسـية المشروعة أي اسـتخدام المرونـة في العمـل الثـوري يجـب أن لا تمـارس مـن قبـل قواعـد الحـزب، او حـتى مـن قبـل القيـادات الـدنيا والوسـطية، انهـا مـن مهـام القيـادات العليـا وحـدها، وقـد يـترك امـر ممارسـتها الى جهـة او

جهات معينة في الحزب الثوري بشكل محدد. اما ترابط الصلة بين المرونة وبين المبادئ فيجب ان يكون: واضحا لدى الحزب الثوري باستمرار، لكي لا يصاب بالانحراف. وبالنسبة لنا في هذا القطر، ولكي لا نجعل المواطن يستلطف المرونة، وبخاصة في مواجهة قضايا النضال القومي، علينا ان نقوي الاتجاه القومي والشعور القومي لدى المواطن، بالإضافة الى تعميق ثوريته.

لو كنا"عراقيين"فقط لبقينا نستخدم المرونة في تعاملنا القضايا المحيطة بقطرنا بحجم ما، وبمقدار ما، لفترة طويلة من الزمن. ولكن كون العراق قاعدة متحررة للامة العربية ولحركتها الثورية، وليس نظاما اقليميا، يحتم علينا دائما ان

نســتخدم المرونــة في الميــدان القــومي بالقــدر المحسوب، ونغادرها في الوقت المناسب.

فعنـدما تكـون عـلى سـبيل المثـال علاقتنـا طبيعيـة، أو جيـدة مـع نظـام عـربي مـا، مختلـف عـن نظامنـا في مرتكزاتــه السياســية والاقتصــادية والاجتماعيــة الان فهــذا أمــر طبــيعي، ولكــن مــن أيــن يبــدأ الخطــأ والانحـراف؟ يبـدأ الخطـأ والانحـراف حينمـا نضـغط او نطلـب مـن الحركـة الشـعبية في ذلـك القطـر مـثلا، ان تهــادن ذلــك النظــام وتتعــاون معــه، او تســكت عــن نقــد او فضــح سياســته الخاطئــة أو المنحرفــة. كمــا يكــون الخطــأ والانحــراف أيضــا عنــدما تســتمر مثـل هـذه العلاقـة بهـا ودونمـا تغيـير بيننـا وبـين ذلـك النظام على الاسس التي ابتدأت بها ودونما تتغير.

ان اســـس المرونـــة يجـــب ان تتطـــور، وكـــذلك اتجاهاتهـا حسـب تطـور امكاناتنـا الذاتيـة وظـروف النضـــال القـــومي وواقـــع حـــال الجهـــة او الحالـــة المعنيـــة بالمرونـــة في الطـــرف الآخـــر. ان المرونـــة يجـب ان تتطـور، باتجاههـا وحجمهـا وأسسـها، مـع الوقـائع الـتي أشرنـا اليهـا. فـاذا لـم تتطـور تكـون نتائجهـــا خطـــيرة، لأنهـــا تأخـــذ طـــابع الســـكوت والســكون والتبريــر، والســكوت والســكون والتبريــر بالنســبة للنظــام الثــوري خطــر، لان التســرب عنــد ذاك يكـون باتجـاه مضـاد، اي آن النضـح سـيتم مـن ســـياجه الخـــارجي الى داخلـــه، حـــاملا الافكـــار المخالفـــة لصـــيغ النظـــام الثـــوري ومرتكزاتـــه الاساسـية، بـدلا مـن ان يكـون "النضـح"عـبر سـياجه الخـارجي، وباتجـاه الانظمـة الأخـرى، أو الاوسـاط

المعنية بالمرونة، بقصد التأثير الايجابي فيها لصالح الحركة الثورية.

ان اهم مركز يجب ان يبقى محصنا، يؤثر ولا يتأثر، هو الحزب، لأنه هو "كرة الحديد الفولاذية" التي نستطيع ان نضرب بها باب وشباك الخصوم والاعداء في الوقت المناسب. ان ثقة الشعب بالحزب، وثقته بالتخطيط السياسي، وبالحصانة المبدئية الثوريين تمكنهم من استخدام المرونة استخداما صحيحا، وعلى العكس من ذلك فان عدم ثقة الشعب تدفع اما الى التوسع في استخدام المرونة فتكون الردة، او الى عدم استخدامها عندما يتطلب الأمر ذلك فيكون الانعزال، وتفوت الحركة الثورية فرصا

مشروعة. لابد اذن من ضبط الموازنة بإيجاد الصلة الصحيحة في الثقة بين النظام وبين الشعب، وبين استخدام المرونة في الحجم وفي التوقيت وفي الاتجاه المطلوب. وبغير ذلك، ولكي تثبت الحركة الثورية ثوريتها اما أن تغادر المرونة قبل ان تجني نتائجها. او انها لا تستخدمها على طريق العمل الثوري فتخسر، وقد تلجأ في مجال الرد على صيغ الانعزال الى التوسع في المرونة فتصبح طريقا للردة، وتكون سببا مهما في السقوط وكلتا الحالتين خطأ جسيم. ان ثقة الحزب بقيادته وثقة الشعب بالحزب وبالقيادة تجعلك تستخدم المرونة في وقتها المناسب وبالقدر المطلوب وللهدف المطلوب، وتجعلك تغادرها في الوقت المناسب.

هـذه هي المرونـة في العمـل الثـوري، وهي مـن ادق المسـائل المتصـلة بمبـادئ العمـل الثـوري وبسياسـاته، والـتي تواجـه الحركـات الثوريـة في العـالم، وفي بلـدان العـالم الثالـث بشـكل خـاص، حيث أن لها خصوصية مهمة وحاسمة على طريق مسـتقبل الانظمـة الثوريـة، لان المرونـة في بلـدان العـالم الثالـث لا تصـنعها القـدرات الذاتيـة وحـدها. ولا تـرتبط بـالظروف الماديـة المبـاشرة للبلـد المعـني فحسـب، وانمـا تـرتبط بمجموعـة عوامـل منهـا الجانـب السـايكولوجي للشـعب، في اذ عنـدما يريـد كـل الشـعب بشـكل حاسـم مرونـة مـا فيجـب ان يسـتخدم قـدر منهـا، لـكي تـبقى المبـادرة بيـد القيـادة الثوريـة، وان عمـلا مـن هـذا النـوع لا يسـمى تراجعـا

ولا يسمى انسياق وراء آراء غير مشروعة، وانما هو حسابات مشروعة لوضع نفسي- يجب ان يدخل بالحسبان. فاذا لم يستخدم القائد أو الثورة المرونة في الوقت المناسب. فان قوى الردة هي التي ستستخدمها وباتجاه مضاد، سواء عن طريق قراها التقليدية، أو عن طريق اليمين داخل الحركة الثورية نفسها. وحينما يكون الوضع النفسي- كله والظروف الدولية كلها، والوضع في المنطقة يشير في مرحلة معينة الى ان اسلوب المجابهة بين نظام ثوري، وبين اوساط وانظمة غير ثورية أصبح مرفوضا نفسيا من قبل الشعب، فيجب على القيادة ان تستخدم قدرا من المرونة مع تلك الاوساط والانظمة، أو مع بعضها لتجتاز بها ومن خلالها مرحلة معينة.

ان الانتصـارات الـتي حـدثت في قطرنـا كبـيرة، ولـم يصـــنعها الطريـــق التقليـــدي، كمـــا لـــم يصـــنعها الاسـلوب المـألوف للثـورات الوطنيـة والديمقراطيـة في بلـدان العـالم الثالـث، وانمـا صـنعها طريـق آخـر اســـتثنائي في الحســـاب، وفي القـــرار، وفي التعامـــل، وحتى في صيغ العمل الإداري.

ان النظـام الـذي يقـوده حـزب ثـوري كحزبنـا، انمـا يسـتنبط مـن تجربتـه صـيغا غـير تقليديـة، وإذا مـا واجـه حالـة مـا يعجـز فيهـا مؤقتـا، عـن ايجـاد الصـيغة الخاصـــة لمواجهـــة حالـــة او ظـــروف مســـتجدة، فعليـــه ان لا يخـــطئ ابـــدا بمغـــادرة الصـــيغ "الاســتثنائية" الــتي حقــق بهــا الانتصــارات، ويتجــه

الى طريـق تقليـدي. لأنـه ان فعـل ذلـك تبـدأ الثـورة بالارتـداد، والارتـداد يسـحق الانتصـارات مهمـا كانـت كبـيرة وعميقـة، اذ بمجـرد ان تبـدأ عمليـة الانسـحاق النفسيـ، أي حصـول الانفصـام بـين النتـائج الماديـة لحركـــة النظـــام اليوميـــة وبـــين روح الشـــعب وتطلعاتـه، فـان الـردة تحـدث. وبمعـنى آخـر فـان الـردة لـكي تحـدث يجـب ان يتحقـق هـذا الجانـب، أي الانفصـام النفسيـ بـين نتـائج النظـام الـتي يفرزهـا يوميـا، وبـين صـلة هـذه النتـائج بـروح الشـعب وأهدافـه وحماسـه في الـدفاع عنهـا.. ان مـا يجـري في الهنـد ومـا جـرى في بـنغلاديش يعنينـا. ولكنـه لا يرهبنـا.. لا تصـغوا لمـا يقولـه الـبعض بـان مـا حـدث في بـنغلاديش يتطلـب منـا "الحـذر"، **فليقـل لنـا هـؤلاء:** كيـف حـدث مـا حـدث في بـنغلاديش؟

فليحللوا الحالة بشكل صحيح!! ان الذي حدث في بنغلاديش لن يحدث عندنا لأننا متمنطقون بعتادنا المصمم لبنادقنا.

انهم يريدون تخويفكم، الرجعية ستعمل على تخويفكم من جهة، وستفعل ذلك بعض الاوساط التقدمية من جهة اخرى، الرجعية ستقول أرأيتم هذا هو مصير اصدقاء السوفييت وهذا هو مصير من يغالى بالوطنية.. وهذه هي نهاية الاشتراكيين.

وبعض التقدميين من جهة اخرى سيخيفونكم

ويقولون لكم بأن هؤلاء سقطوا لأنهم تشبثوا بالاستقلال، ولم يذهبوا مع السوفييت كما

اراد السوفييت، وها هم قد انتهوا، والى غير هذا الكلام! اننا بالطبع لن نخاف، لأننا نعرف طريقنا، ولأننا واثقون من صوابه.

هذا هو تحليلنا، وهذا هو طريقنا، وهو الطريق الذي يجنبنا الاخفاقات والنكسات ويصنع لنا الانتصارات الدائمة، فما دمنا نتمنطق بعتاد بندقيتنا، فإننا لا نخشى خطرا، وان كنا في وسط غابة مليئة بالوحوش المفترسة، فالذي سيأتينا سيجد ان لدينا وسائلنا التي نقاومه بها، اما الذي يحمل بندقية من نوع ويتمنطق بحزام عتاد البندقية اخرى ويدخل الغابة، فمن الطبيعي ان تخيفه، بل تفترسه حتى بنات أوى.